وهما بمعنى الاقامة (لُغُوبٌ) الاعياء (جَاءَكُمُ النَّذِيرُ) يعنى محمدا ﷺ ويقال الشيب ومن ذهب إلى هذا المذهب فانه أراد أو لم نعمركم حتى شبتم (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) أى هل ينتظرون (إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ) أى سنتنا فى أمثالهم من الأولين الذين كفروا ككفرهم

غريب سورة يس ومشكلها

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ) أى وجب (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره يقال بعير قامح وإبل قماح إذا رويت من الماء فقمحت قال الشاعر [1] وذكر سفينة وركبانها

ونحن على جوانبها قعود ... نغض الطرف كالابل القماح

يريد أنا حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) السد الجبل وجمعه سداد (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) أى أغشينا عيونهم وأعمينا عيونهم عن الهدى وقال الاسود بن يعفر - وكان قد كف بصره

ومن الحوادث لا أبالك أننى ... ضربت على الارض بالأسداد

ما اهتدى منها لمدفع ثلمة ... بين العذيب [2] وبين أرض مراد

(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) أى أعمالهم (وَآثَارَهُمْ) ما استن به بعدهم من سننهم وهو مثل قولهم — يُنَبَّأُ الانسان يومئذ بما قدم وأخر — أى بما

---

(١) هو بشر بن أبى حازم

(٢) العذيب بالتصغير ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة

قدم من عمله وأخر أى من أثر باق بعده (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أى قوينا وشددنا يقال عزز منه أى قوى من ميله ، وتعزز لحم الناقة إذا صلب (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قال قتادة يقولون إن أصابنا شر فهو بكم (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) ثم قال (أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ) تطيرتم بنا وقال غيره (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) أين كنتم والطائر هاهنا العمل والرزق يقول هو فى أعناقكم ليس من شؤمنا ومثله — وكل شىء ألزمناه طائره فى عنقه — وقد ذكرناه فيما تقدم (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى فاشهدوا (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى وليأكلوا مما عملته أيديهم ، ويقرأ وما عملت أيديهم بلاهاء (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أى الأجناس كلها ﴿وفى المشكل﴾ (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أى إلى مستقر لها كما تقول هو يجرى لغايته وإلى غايته ومستقرها أقصى منازلها فى الغروب ، وذلك لأنها لاتزال تتقدم فى كل ليلة حتى تنتهى الى أبعد مغاربها ثم ترجع ، فذلك مستقرها لأنها لاتجاوزه ، وقرأ بعض السلف (تَجْرِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا) والمعنى أنها لاتقف ولا تستقر ولكنها جارية أبدا وقوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) يريد أنه ينزل كل ليلة ثم يستتر وهذه المنازل هى النجوم التى كانت العرب تنسب اليها الأنواء وأسماؤها

السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعه والهنعة
والذراع والنثرة والجبهة والعرفة والعواء والسماك
والقفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم

والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية
وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشا وهو الحوت

وإذا صار القمر فى آخر منازله دق حتى يعود (كالعرجون القديم) وهو العذق والعرجون إذا يبس دق واستقوس فشبه القمر به ليلة ثمان وعشرين ثم قال (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) يريد أنهما يسيران الدهر دائبين ولا يجتمعان فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوؤه وبطل سلطانه ودخل النهار على الليل يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة - وجمع الشمس والقمر - وذلك عند إبطال هذا التدبير ونقض هذا التأليف (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول هما يتعاقبان ولا يسبق أحدهما الآخر فيفوته ويذهب قبل مجيء صاحبه (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أى يجرون يعنى الشمس والقمر والنجوم ﴿غ﴾ (والعُرْجُون) عود الكباسة وهو الاهان أيضاً (والْقَدِيمُ) الذى قد أتى عليه حول (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أى لا مغيث لهم ولا مجير (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) أى إلا أن نرحمهم ونمتعهم إلى أجل (يَخِصِّمُونَ) أى يختصمون فأدغمت التاء فى الصاد (وَالأَجْدَاثُ) القبور واحدها جدث (يَنْسِلُونَ) قد ذكرناه فى سورة الأنبياء (مُحْضَرُونَ) مشهدون (فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) أى يتفكهون. قال أبو عبيد: تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو الفاكهة أو بأعراض الناس إن فلانا لفكه بكذا قال الشاعر: —

فَكَهٌ إلى جنب الخوان إذا غَدَتْ ... نكباءُ تقطعُ ثابتَ الأطناب

ومنه قيل للمزاح فكاهة ومن قرأ (فاكهون) أراد ذوى فاكهة كما يقال فلان تامر. وقال الفراء هما جميعا سواء: فكه وفاكه، كما يقال حذر وحاذر وروى فى التفسير فاكهون ناعمون وفكهون معجبون (فِي ظِلَالٍ) جمع ظل وفى ظلال جمع ظلة (الأَرَائِكِ) السرر فى الحجال واحدها أريكة (وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ) أى ما يتمنون ومنه يقول الناس هو فى خير ما ادعى أى ما تمنى، والعرب تقول: ادع ماشئت أى تمن ماشئت (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) أى سلام، ويقال لهم فيها سلام كأنهم يبلغونه من رب رحيم (وامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أى انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم يقال مزت الشىء من الشىء إذا عزلته عنه فامتاز وامتاز وميزته فتميز (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) أى ألم آمركم ألم أوصكم (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) أى خلقا وجبلا بالضم والتخفيف والجبل أيضا الخلق قال الشاعر (١): —

ويستمتعن بالأنس الجَبَلِ

(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) والمطموس هو الذى لا يكون بين جفنيه شق (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) ليجوزوا (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) أى فكيف يبصرون (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) هو مثل مكانهم يقال مكان ومكانة ومنزل ومنزلة (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) أى نرده إلى أرذل العمر (لِيُنْذِرَ مَنْ

---

(١) قاله أبو ذؤيب. وصدره. منايا بقربن الحتوف من أهلها * جهارا

كانَ حَيًّا) أى مؤمنا ويقال عاقلا (خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يجوز أن يكون مما عملناه بقدرتنا وقوتنا وفى اليد القوة والقدرة على العمل فتستعار اليد فتوضع موضعها على مابين فى المشكل، هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف والله أعلم بما أراد (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) أى مايركبون (والحَلُوبُ) مايحلبون ويقرأ ركوبتهم أيضا قراءة عائشة رضى الله عنها (وَهِيَ رَمِيمٌ) أى باليـة يقال رم العظم إذا بلى فهو رميم ورمام كما يقال رفات وفتات (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) أراد الزنود التى تورى بها الأعراب من شجر المرخ والعفار .

غريب سورة والصافات ومشكلها

قال ابن مسعود رضى الله عنه (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) هى الملائكة عليهم السلام (لَا يَسَّمَّعُونَ) أى لا يتسمعون فأدغمت التاء فى السين (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى) ملائكة الله (دُحُورًا) طردا يقال دحرته دحرا ودحورا أى دفعته (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) أى دائم (فَأَتْبَعَهُ) أى لحقه (شِهَابٌ ثَاقِبٌ) كوكب مضىء بين، يقال أثقب نارك أى أضئها والثقوب ماتذكى به النار (فَاسْتَفْتِهِمْ) أى سلهم (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) أى لازق لازم والباء تبدل من الميم لقرب مخرجيهما (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قال قتادة بل عجبت من وحى الله وكتابه وهم يسخرون (إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) أى يسخرون يقال

سخر واستسخر كما يقال قر واستقر ومثله عجبت واستعجبت قال أوس ابن حجر .

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زَبَنَتْهُ الحَرْبُ لَمْ يترمْرَم

ويجوز أن يكون يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من النبي ﷺ كما يقال استقبته سألته العتبى واستوهبته سألته الهبة واستعفيته سألته العفو (أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) أى أشكالهم تقول العرب زوجت إبلى أى قرنت واحداً بالآخر ويقال قرناؤهم من الشياطين ﴿ومن المشكل﴾ (وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال أبو محمد يقول هذا المشركون يوم القيامة لقرنائهم من الشياطين إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا لأن إبليس قال — لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم — فشياطينه تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنى من الكيد والاضلال قال المفسرون : فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فقال المشركون لقرنائهم إنكم كنتم تأتوننا فى الدنيا من جهة الدين فتشبهون علينا فيه حتى أضللتمونا، فقال لهم قرناؤهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) أى لم تكونوا على حق فنشبهه عليكم ونزيلكم عنه إلى باطل

(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أى قدرة فنقهركم ونجبركم (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ) نحن وأنتم العذاب (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) يعنى بالدعاء والوسوسة ومثل هذا قوله — وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴿غ﴾ (كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) أى تخدعوننا وتفتنوننا عن طاعة الله (لَا فِيهَا غَوْلٌ) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول للنفس وغالنى غولا والغول البعد (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) أى لا تذهب خمرهم وتنقطع ولا تذهب عقولهم يقال نزف الرجل إذا ذهب عقله وإذا نفد شرابه ويقال ينزفون من أنزف الرجل إذا حان منه أو وقع منه النزف كما يقال أقطف الكرم وأحصد الزرع (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أى قصرن أبصارهن على الأزواج ولم يطمحن إلى غيرهم وأصل القصر الحبس (عِينٌ) نجل العيون أى واسعاتها جمع عيناء (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) العرب تشبه النساء ببيض النعام. وقال امرؤ القيس:

كَبِكْرِ مُقَانَاتِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

والمكنون المصون يقال كننت الشىء إذا صنته وأكننته أخفيته (إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ) أى صاحب (إِنَّا لَمَدِينُونَ) أى مجزون بأعمالنا يقال دنته بما صنع أى جزيته (سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أى وسطها (إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) أى لتهلكنى يقال أرديت فلانا أى أهلكته والردى الموت والهلاك (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أى من المحضرين النار (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا)

أى رزقاً ومنه إقامة الأنزال وأنزال الجنود أرزاقها (إِنَّا جَعَلْنَاهُ فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) أى عذابا (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) أى حملها سمى طلعا لطلوعه فى كل سنة ولذلك قيل طلع النخل لأول مايخرج من ثمره فاذا انتقل عن ذلك فصار فى حال أخرى سمى باسم آخر والشياطين حيات خفيفات الأجسام قبيحات المنظر قال الشاعر وذكر ناقته : ـ

تُلاعِبُ مثنى حضرمىٍّ كأنَّه تَعَمُّجُ شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ (١)

يعنى زماما تلويه بتلوى حية وقال الراجز:

عَجَيِّزٌ تحالفُ حين أحلِفُ كمثل شيطانِ الحِماطِ أعرفُ

والحماط شجر، والعرب تقول إذا رأت منظراً قبيحا كأنه شيطان الحماط يريدون حية تأوى فى الحماط كما يقولون أيم الضال وذئب الغضا وأرنب خلة وتيس خلب وقنفذ برقة (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) أى خلقا من الماء الحار فيشربونه عليها (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) أى وجدوهم كذلك (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) أى يسرعون والاهراع الاسراع وفيه شبه بالرعدة (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ) أى أبقينا عليه ذكرا حسنا (فِى الْآخِرِينَ) أى فى الباقين من الأمم (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا) أى مال عليهم يضربهم (بِالْيَمِينِ) والفراغ منه (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ) مفسر فى باب التعريض من المشكل وفى سورة الأنعام فى قوله ـ جن عليه الليل رأى كوكبا ـ (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) أى يسرعون فى المشى يقال زفت النعامة

---

(١) لم يذكر قائله . والخروع . النبت الضعيف أى نبت كان .

(فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) أي في النار والجحيم الجمر قال عاصم بن ثابت:

* وصالة مثل الجحيم الموقد *

أراد سهاما مثل ويقال رأيت جحمة النار أي تلهبها ، وللنار جاحم أي توقد وتلهب (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي بلغ أن ينصرف معه ويعينه (قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أي سأذبحك ولم يرد فيما يرى أهل النظر أنه ذبحه في المنام ولكنه أمر في المنام بذبحه فقال إني أرى في المنام أني سأذبحك ومثل هذا رجل رأى في المنام أنه يؤذن والأذان دليل على الحج فقال إني رأيت في المنام أني أحج أي سأحج وقوله (يَاأَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ) دليل على أنه أمر بذلك في المنام (فَلَمَّا أَسْلَمَا) أي استسلما لأمر الله عز وجل وسلما مثله (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) أي صرعه على جبينه فكان أحد جبينه على الأرض وهما جبينان والجبهة بينهما وهي ما أصاب الأرض في السجود (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْصَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) أي صدقت الأمر في الرؤيا وعملت به (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أي الاختبار العظيم (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) أي بكبش والذبح اسم ماذبح والذبح بنصب الذال مصدر لذبحت(أتدعون بعلا) أي ربا يقال أيا بعل هذه الناقة أي ربها وبعل الدار مالكها ويقال بعل صنم كان لهم (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) السفينة المملوءة (فَسَاهَمَ) أي فقارع (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أي فكان من المقروعين يقال دحض الله حجته فدحضت أي أزالها فزالت وأصل الدحض الزلق وقال ابن عيينة ـ فساهم ـ أي قامر فكان من المقمورين

(وهُوَ مُلِيمٌ) مذنب يقال ألام الرجل إذا أذنب ذنبا يلام عليه (فَلَوْلا أنهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ) يقال من المصلين (فَنَبَذْنَاهُ) ألقيناه (بِالْعَرَاءِ) وهي الارض التى لايوارى فيها بشجر ولا غيره وكأنه من عرى الشيء (وَالْيَقْطِينُ) الشجر الذى لايقوم على ساق مثل القرع والحنظل والبطيخ وهو يفعيل (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) أى ويزيدون وأوفى معنى الواووهى على أوجه مذكورة فى المشكل ﴿قال أبو محمد﴾ هناك أو تأتى للشك تقول رأيت عبد الله أو محمداً وتكون للتخيير بين شيئين كقوله عز وجل ـ فأطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ـ وكقوله ـ ففدية من صيام أوصدقة أو نسك ـ أنت فى جميع هذا مخير أية فعلت يجزى عنك وربما كانت بمعنى واو النسق كقوله ـ فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً ـ وقوله ـ يتذكر أو يخشى ـ وقوله ـ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ـ هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق فاما قوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) فان بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل يزيدون على مذهب التدارك لكلام غلب فيه . وكذلك قوله ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ـ و ـ فكان قاب قوسين أو أدنى ـ ﴿قال أبو محمد﴾ وليس هذا كما تأولوا وانما هى فى جميع هذه المواضع بمعنى الواو (وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون) ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب ـ فكان قاب قوسين وأدنى ـ قال ابن حجر :

قراعنكما شهرين أونصف شهر ثالث إلى ذاكما قد غيبتنى غيابيا

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو أراد قرا شهرين ونصفا ولا يجوز أن يكون قرا شهرين بل نصف ثالث وقال جرير :

أتطلبة الفوارس أو رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

أراد عدلت هذين بهذين ﴿غ﴾ (فَامْتَحَنَّاهُمْ) أى سلبهم (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) أى حجة بينة (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا) يقول جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك وعن كل سوء علوا كبيرا وجعلوهم من الجن (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ) أنهم الذين جعلوهم بنات الله تعالى (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) النار (إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أى بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) أى من قضى عليه أنه يصلى الجحيم (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) هذا قول الملائكة عليهم السلام (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) أى المصلون (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ) يعنى أهل مكة (فَكَفَرُوا بِهِ) أى بمحمد ﷺ أى كذبوا بأنه مبعوث .

غريب سورة ص ومشكلها

قوله (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أى ذى الشرف مثل قوله ـ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ـ ويقال فيه ذكر ما قبله من الكتب شقاق وعداوة ومباعدة (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أى لات حين مهرب والنوص التأخر فى كلام العرب والبوص التقدم قال امرؤ القيس : ـ

أمن ذكر ليلى إن نأتك تنوص وتقصر عنها خطوة وتبوص

قال ابن عباس ليس حين نَزْوٍ وفرار ﴿ ش ﴾ قال سيبويه لات مشبهة بليس فى بعض المواضع ولم تمكن تمكنها ولم يستعملوها إلا مضمرا فيها لأنها ليست كليس فى المخاطبة والأخبار عن غائبٍ ألا ترى أنك تقول : ليست وليسوا وعبد الله ليس ذاهبا، فتبنى عليها ولات لا يكون فيها ذاك، وبعضهم يقول ـ ولات حينُ مناص ـ فيرفع لأنها عنده بمنزلة ليس وهى قليلة والوجه فيها النصب وقد خفض بها قال أبو زيد :

طلبوا صُلْحَنَا ولات أوانٍ فأجبنا أن ليس حين بقاءُ

وقال آخر

فلمّا علمتُ أننى قد قتلته ندمتُ عليه لاتَ ساعةَ مَنْدَمِ

وإنما تكون لات مع الأحيان وتعمل فيها، فاذا جاوزتها فليس لها عمل. وقال أبو عبيدة التاء تزاد فى أول حين وفى أول أوان وأول الآن وإنما هى لأنهم تبتدىء فتقول تحين وتلان والدليل على هذا أنهم يقولون تحين وتلان من غير أن يتقدمها لا ، واحتج بقول الشاعر [1] :

العاطفون تحينَ مامن عاطفٍ والمطعمون زمان مامِنْ مُطْعِمِ

ويقول الآخر [2] : * وصلينا كما زعمت تلانا *

---

(١) هو أبو وجزة . وقال ابن برى : صوابه :

العاطفون تحين مامن عاطف * والمنعمون زمان أين المنعم

واللاحقون جفاتهم قمع الذرى * والمطعمون زمان أين المطعم

(٢) هو جميل بن معمر وصدره : * تولى قبل نأى دارى حمانا *

وجر العرب بها يفسد عليه هذا المذهب لأنهم إذا جروا ما بعدها جعلوها كالمضاف للزيادة، وإنما هي لا زيدت عليها الهاء كما قالوا : ثم وثمة . قال ابن الأعرابي في قول الشاعر : العاطفون تحين. إنما هو العاطفونه بالهاء ثم يبتدىء فيقول: حين ما من عطف. فاذا وصلت صارت الهاء تاء وكذلك قوله: وصلينا كما زعمته . ثم تبتدىء فتقول : لا تا . فاذا وصلت صارت الهاء تاء وذهبت همزة الآن . قال . وسمعت الكسائي ينهى رجلا عن عمل فقال : حسبك تلان ، أراد حسبك الآن ، فلما وصل صارت الهاء تاء ﴿غ﴾ (عُجَابٌ) وعجيب واحد مثل طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار ومن المشكل قوله جل ثناؤه (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) الآية ﴿قال أبو محمد﴾ أخبر الله عز وجل عن عنادهم وكفرهم وتكبرهم وتمسكهم بآلهتهم في أول السورة فقال (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) وحكى قولهم (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) أي اذهبوا ودعوه وتمسكوا بآلهتكم ، فقال الله عز وجل أعندهم بآلهتهم هذه خزائن الرحمة (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ) أي في أبواب السماء وأبواب السماء أسبابها كما قال زهير : —

* ولو رام أسبابَ السماء بسلَّم *[1]

ويكون أيضا (فَلْيَرْتَقُوا بِالأَسْبَابِ) أي في الجبال إلى السماء كما

---

(١) صدره : ومن هاب أسباب المنية يلقها

سألوك أن ترقى في السماء وتأتيهم بكتاب، ويقال للرجل إذا تقدم في العلم وغيره وبرع: قد ارتقى في الأسباب كما يقال قد بلغ السماء. ونحو هذا قولهم في موضع آخر - أم لهم سُلَّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين - وهو كله توبيخ وتقرير بالعجز ثم قال بعد (جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ) وجند بمعنى حزب لهذه الآلهة وما زائدة ومهزوم مقموع ذليل. وأصل الهزم الكسر ومنه قيل للنقرة في الأرض هزمة أي كسرة وهزمت الجيش وتهزمت القربة إذا انكسرت يقول: هم حزب عند ذلك مقموع ذليل (مِنَ الأَحْزَابِ) أي عند هذه المحن وعند هذا القول لأنهم لا يقدرون أن يدعوا لآلهتهم شيئا من هذه ولا لأنفسهم بها. والأحزاب سائر من تقدمهم من الكفار سموا أحزابا لأنهم تحزبوا على أنبيائهم يقول الله عز وجل على إثر هذا الكلام (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ) وكذا وكذا ثم قال تعالى (أُولَئِكَ الأَحْزَابُ) فأعلمنا تبارك وتعالى أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب. وكان ابن عباس في رواية أبي صالح عنه يذهب إلى أن الله عز وجل أخبر رسوله ﷺ أنه سيهزم المشركين يوم بدر

﴿غ﴾ (وَفِرْعَوْنَ ذُو الأَوْتَادِ) ذو البناء المحكم، والعرب تقول هم في عز ثابت الأوتاد وملك ثابت الأوتاد، يريد أنه دائم شديد، وأصل هذا أن البيت من بيوتهم يثبت بالأوتاد، قال الأسود بن يعفر: —

* في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأَوْتَادِ *

وقال قتادة وغيره هي أوتاد كانت لفرعون يعذب بها الرجل فيمده

بين أربعة منها حتى يموت (وَالأَيْكَةُ) النيضة (أُولَئِكَ الأَحْزَابُ) يريد الذين تحزبوا على أنبيائهم (مالَهَا مِنْ فَوَاق) قال قتادة: مالها من مثنوية وقال أبو عبيدة : من فتحها أراد مالها من راحة ولا إفاقة كأنه يذهب بها إلى إفاقة المريض من علته، ومن ضمها جعلها فواق الناقة وهي ما بين الحلبتين يريد مالها انتظار والفُواق والفَوق واحد كما يقال جمام المكوك وجمامه وهو أن تحلب الناقة وتترك ساعة حتى ينزل شيء من اللبن ثم تحلب، فما بين الحلبتين فواق فاستعير الفواق في موضع التمكث والانتظار (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) والقط الصحيفة المكتوبة وهي الصك . وروي في التفسير أنهم قالوا ذلك حين أنزل عليه ـ فأما من أوتي كتابه بيمينه ـ وشماله يستهزئون، أي عجل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب فقال الله تعالى (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واذكر عَبْدَنَا داود ذَا الأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّابٌ)أي رجاع ثواب (وَفَصْلَ الخِطَابِ)يقال أما بعد ويقال الشهود والايمان لأن القطع في الحكم بهم (تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ) أي صعدوا (وَلَا تُشْطِطْ) لا تجر علينا يقال أشططت إذا جرت وشطت الدار إذا بعدت فهي تَشُطُّ وتَشِطُّ (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أي ضمها إلى واجعلني كافلها (وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ) أي غلبني في القول ويقال صار أعز مني يقال عاززته فعززته وعززني (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) أي قصد الطريق (بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) أي مضمومة إلى نعاجه فاختصر ويقال إلى بمعنى مع (وَالخُلَطَاءِ) الشركاء (لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى) تقدم وقربة (وَالصَّافِنَاتُ الجِيَادُ) الخيل ويقال هي القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف

الحافر من يد كان أو رجل هذا قول بعض المفسرين والصافن فى كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها قال ﷺ : « من سره أن يقوم الرجال له صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار » أى يديمون له القيام (فَطَفِقَ مَسْحاً) أى أقبل يمسح بضرب سوقها وأعناقها (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) يقال شيطان ويقال صنم (رُخَاءً) أى رخوة لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أى حيث أراد من النواحى قال الأصمعى : العرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب أى أراد الصواب (الأَصْفَادُ) الأغلال فى التفسير (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) أى فاعط أو أمسك كذا قيل فى التفسير ومثله ـ ولا تمنن تستكثر ـ لاتعط لتأخذ من المكافأة أكثر مما أعطيت قال الفراء . أراد هذا عطاؤنا فَمُنَّ به فى النَّطِيَّةِ ، أراد أنه إذا أعطاه فهو مَنٌّ فسمى العطاء منا (النُّصْبِ) والنَّصَبِ واحد مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال أبو عبيدة النصب الشر والنصب الاعياء (أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ) أى اضرب برجلك ومنه ركضك الفرس (وَالْمُغْتَسَلُ) الماء وهو الغسول أيضا (والضغث) الحزمة من الحلا والعيدان (أَتْرَاب) أسنان واحدة (الْغَسَّاق) مايسيل من جلود أهل النار وهو الصديد يقال غسقت عينه إذا سالت ويقال هو البارد المنتن (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ) أى من نحوه (أَزْوَاجٌ) أصناف قال قتادة هو الزمهرير (مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) أى من سنه وشرعه (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا) أى كنا نسخر منهم ومن ضم أوله جعله من السخرة أى يتسخرونهم لهم تذلونهم كذلك قال أبو عبيدة .

﴿غريب سورة الزمر ومشكلها﴾

(لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أى لاختار مايشاء من خلقه لو كان فاعلا (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) قال أبو عبيدة يدخل هذا على هذا، وأصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة ومنه قوله - إذا الشمس كورت - أى جمعت ولفت (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أى ثمانية أصناف وهى التى ذكر الله عز ذكره فى سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أى علقة بعد نطفة ومضغة بعد علقة (فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يقال ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ) أى مصل وأصل القنوت الطاعة وما قد ذكر فى موضعه (آنَاءَ اللَّيْلِ) أى ساعاته (فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ) أى أدخله فجعله ينابيع عيونا تنبع (ثُمَّ يَهِيجُ) أى يبلس (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) مثل الرفات والفتات (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) يشبه بعضه بعضا ولا يختلف (مَثَانِىَ) أى تثنى فيه القصص والانباء وذكر الثواب والعقاب (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) من آية العذاب وتلين من آية الرحمة (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) أى يختلفون يتنازعون ويتشاحون فيه يقال رجل شكس قال قتادة: هو الرجل الكافر والشركاء الشياطين (وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) هو المؤمن يعمل لله وحده ومن قرأ (سَلَمًا لِرَجُلٍ) أراد سلّم اليه فهو سلم (وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبى ﷺ (وَصَدَّقَ بِهِ) هم أصحابه رضى الله

عنهم . قال أبو عبيدة : الذى جاء بالصدق فى موضع جميع وهى فى قراءة عبد الله رضى الله عنه ـ والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به ـ وقوله (يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ) هو من استيفاء العدد واستيفاء الشىء إذا استقصيته كله يقال توفيته واستوفيته كما يقال تيقنت الخبر واستيقنته وتثبت فى الأمر واستثبت هذا هو الأصل ثم قيل للموت وفاة وتوف،والعرب تسمى الدم نفسا لاتصال النفس به على مذهبهم فى تسمية الشىء بما اتصل به أو جاوره أو كان سببا له ويقولون نفست المرأة فهى نفساء وأصحاب اللغة : سميت المرأة نفساء لسيلان الدم.وقال إبراهيم كل شىء ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء إذا سقط فيه.يريد كل شىء ليس له دم سائل.وتسمى العرب النفس نسمة وأصل النسمة النفس وروى فى بعض الاحاديث : « تنكبوا الغبار فان منه تكون النسمة » يراد منه تكون النفس والربو سمى نفسا لأنه عن النفس يكون،والعرب تقول : مات فلان حتف نفسه وحتف أنفه ، إذا مات على فراشه لأنه لا يزال يتنفس حتى يموت فتخرج نفسه نفسا من أنفه وفمه (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يقال إنهم عملوا فى الدنيا أعمالا كانوا يرون أنها تنفعهم فلم تنفعهم مع شركهم عافانا الله من الشرك برحمته (بِمَفَازَتِهِمْ) من العذاب اى بمنجاتهم (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ أى ماتوا (إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ) يقال الشهداء (وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) أضاءت (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ) أى مفاتيحها وخزائنها واحدها إقليد يقال هو فارسى معرب اكليد (وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ) أى أرض

الجنة (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أى نزل منها حيث نشاء .

ـــ ذكر غريب سورة الزمر ومشكلها ـــ

﴿ وهى أول آل حاميم ﴾

(التنزيل) التنزل (تنزيل الكتاب) أى نزله (فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) أى تصرفهم فى البلاد بالتجارة وما يكسبون ومثله — لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل — (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) أى ليهلكوه ويقتلوه (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) ويقال ليجسوه ويعذبوه ويقال للأسير أخيذ (يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ) إياكم فى الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان فلم تؤمنوا (أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) حين رأيتم العذاب (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) مثل قوله — كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم — وقد تقدم ذكر هذا فى سورة البقرة (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) أى تصدقوا (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) أى الوحى وقد ذكرنا الوحى ووجوهه فيما سلف فأغنى عن إعادته ثانية (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) قال قتادة همزه بعينه وإيمانه فيما لا يحب الله . والخيانة والخائنة واحد، أى لا يزال يطلع على خائنة منهم (يَوْمَ التَّنَادِ) يوم ينادى الناس ينادى بعضهم بعضا ومن قرأ التناد بالتشديد فهو من ندبته إذا مضى على وجهه يقال ندت الابل إذا شردت وذهبت (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ)

أى أبوابها (فِى تَبَابٍ) أى فى بطلان وكذلك الخسران ومنه ـ تبت يدا أبى لهب ـ وقوله ـ وما زادوهم غير تتبيب (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى بغير تقدير (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) أى تكبر عن محمد صلوات الله وسلامه عليه وطمع أن يقتلوه وما هم ببالغى ذلك (دَاخِرِينَ) صاغرين (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ) أى تبطرون وقد ذكر هذا فى القصص (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ) قال قتادة رحلةً من بلدٍ إلى بلدٍ (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى رضوا به (سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ) وسنته فى الخالين أنهم إذا رأوا العذاب فلا ينفعهم إيمانهم.

﴿غريب حم فُصِّلَت ومشكلها﴾

قوله (وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ) أى صَمَمٌ (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) جمع قوت وهو ما أُوتيه ابن آدم لأكله ومصلحته (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) قال قتادة من سأل فهو كلٌّ قال الله عز وجل (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) أى عمدها (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) أى صنعهن وأحكمهن قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ

(قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) هو مجاز ونذكر باب المجاز إن شاء الله عز وجل

باب المجاز

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما المجاز فمن جهته غلط كثير من الناس فى التأويل وتشعبت بهم الطرق واختلفت النحل . والنصارى تذهب فى قول المسيح عليه السلام فى الانجيل ادعوا بى ، وأذهب إلى أبى ، وأشباه هذا إلى أبوّة الولادة ، ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصة دون غيره ماجاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل فى الله عز وجل تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقول فى كثير من المواضع لغيره كقوله حين فتح فاه بالوحى « إذا تصدقت فلا تعلم شمالك ماصنعت يمينك ، فان أباك الذى يرى الخفيات يجزيك به علانية ، واذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك ، واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك » وقد قرأوا فى الزبور أن الله عز وجل قال لداود عليه السلام « سيولد لك غلام يسمى لى ابناً ، واسمى له أباً » وفى التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام « أنت بكرى » وتأويل هذا أنه فى رحمته وبره وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده . ولذلك قال المسيح عليه السلام للماء هذا أبى . وللخبز هذا أمى . لأن قوام الأبدان وبقاء الروح عليهما فهما كالأبوين اللذين منهما النشأة وبحضانتهما النماء . وكانت العرب تسمى الأرض أما لأنها مبتدأ الخلق وإليها مرجعهم ، ومنها أقواتهم ، وفيها كفاتهم . قال أمية بن أبى الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وقال يذكرها : —

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت وضمن أبناؤها لو أننا شكر

هى القرار فلا نبغى بها بدلا ما أوحمها أو نغزى إلا أننا كفر

وقال الله عز وجل فى الكافر — فأمه هاوية — لما كانت الأم كافلة الولد وغاذيته ومأواه ومربيته ، وكانت النار للكافر كذلك ، جعلها أمه ، وقال فى أزواج رسوله الكريم عليه صلوات الله وأطيب التسليم — وأزواجه أمهاتهم — أى تأمهاتهم فى المبرات ، رضوان الله عليهن . وفى التوراة « أن الله تبارك وتعالى برك اليوم السابع وطهره من أجل أنه استراح فيه من خليقته التى خلق » وأصل الاستراحة أن تكون فى معاناة شىء ينصبك ويتعبك فتستريح ، ثم قد ينتقل ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ ، تقول فى الكلام : استرحنا من حاجتك وأمرنا بها ، يراد بذلك فرغنا ، والفراغ أيضا يكون من الشىء بعد شغل ، ثم قد ينتقل فيصير فى معنى القصد للشىء ، لأن فرغت لك ، أى تفرغت قصدك ، وقال الله عز وجل — سنفرغ لكم أيها الثقلان — والله تعالى جده لا يشغله شأن عن شأن ، ومجازه سنقصد لكم بعد طول الترك والامهال . وقال قتادة : قد دنا من الله فراغ خلقه ، يريد أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها . وتأول قوم فى قول الله عز وجل — فى أى صورة ما شاء ركّبك — معنى التناسخ ، ولم يرد الله عز وجل فى هذا الخطاب إنسانا بعينه ، وإنما خاطب به جميع

الناس كافة ، كما قال تعالى ـ ياأيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا ـ وكما يقول القائل : يا أيها الرجل . وكلنا ذلك الرجل فأراد أنه صورهم وعلمهم ، وفى أى صورة شاء ركبهم ، من حسن وقبيح ، وبياض وسواد ، وأدمة وحمرة ، ونحو قوله . — ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم — وذهب قوم فى قول الله تعالى وكلامه العزيز الكريم إلى أنه ليس قولا ولا كلاما على الحقيقة ، وإنما هو إيجاز المعانى ، وصرفوه فى كثير من القرآن العزيز الكريم من المجاز كقول القائل . قال الحائط فمال ، وقل برأسك إلى ، يريد بذلك الميل خاصة ، والقول فعل . وقال بعضهم فى قول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام — اسجدوا لآدم ـ هو إلهام منه للملائكة كقوله تعالى ـ وأوحى ربك إلى النحل ـ أى ألهمها وكقوله عز وعلا ـ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ـ وذهبوا فى الوحى هاهنا إلى الالهام ، وتأولوا فى قوله عز وجل للسماء والأرض ـ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ لم يقل الله تعالى ولم تقولا ، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هو عبارة لكونها فكانتا كما قال الشاعر حكاية عن ناقته .

تقول إذا درأت لها وضينى ... أمذا دأبه أبدا ودينى

أكل الدهر حل وارتحال ... أما يبقى على ولا يقينى

وهى لم تقل شيئا من هذا ولكنه رآها فى حال الجهد والكلال فقضى

عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل هذا الذى ذكر عنها، وكقول الآخر :

* شكا إلىّ جملى طول السُّرى *

والجمل لم يشك ولكنه خبر عن كثرة أسفاره وإتعابه جمله فقضى عليه بأنه لو كان متكلما لاشتكى مابه. وكقول عنترة فى فرسه :-

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلىّ بعبرة وتحمحم

لما كان الذى أصابه يشتكى منه ويستعبر منه، جعله مشتكيا مستعبرا من أجله، وليس هناك شكوى ولا عبرة. قالوا: ونحو هذا قوله تعالى - يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - ليس يومئذ قول منه عز وجل لجهنم، ولا قول من جهنم له تبارك وتعالى، وإنما هو عبارة عن سعتها، وفى قوله - تدعو من أدبر وتولى - يريد أن مصير من أدبر وتولى اليها فكأنها الداعية لهم كما قال ذو الرمة :-

دعت مية الأعداد واستبدلت بها مناطيل آجال من العين خُذّل

والأعداد المياه، لما انتقلت مية اليها ورغبت عن مائها كانت كأنها دعتها وكقول الآخر :-

ولقد هبطتُ الواديين ووادياً يدعو الأنيسَ به الغضيضُ الأبكمُ

والغضيض الأبكم الذباب، يريد أنه يطن فيدل بطنينه على النبات والماء كأنه دعاه منه. وقال أبو النجم يذكر نبتا :-

مستأسدا ذئبانه فى غيطل يقلن للرائد اعشبت انزل

ولم يقل الذباب شيئا من هذا ، ولكنه لما كان المكان كذلك دل على نفسه بطنينه ، ودل مكانه على المرعى لأنه لا يجتمع إلا في عشب ، فكأنه قال للرائد : هذا عشب فانزل . وقال آخر يصف ذئبا يستخبر الريح :

إذا لم يسمع بمثل مقراع الصفا المرقم يريد أنه يتشمم ثم يتبع الرائحة بخطم كأنه الفأس التي يكسر بها الصخر ، فجعل تشممه استخبارا ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد تبين لمن عرف اللغة أن القول يقع فيه المجاز فيقول قال الحائط فمال ، وقل برأسك إلي ، أي أمله ، وقالت الناقة ، وقال البعير ، ولا يتأتى في مثل هذا الكلام تكلم ، ولا يحقق الكلام إلا النطق بعينه خلا موضع واحد وهو أن يتبين في شيء من الموات عبرة وموعظة فيقول : خبر وتكلم ، وذكر ، لأنه دلك بمعنى فيه ، فكأنه كلمك قال الشاعر : —

وعظتك أجداث صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت

وقال الكميت يمدح رجلا

أخبرت عن فعاله الأرض واله تنطق منها الباب والسمورا

الباب الخالي ، أراد أنه حفر فيها الأنهار ، وغرس الأشجار ، وأثر الآثار ، فلما تبينت للناظر صارت كأنها مخبرة . وقال عوف بن الخرع يذكر الدار : —

وقفت بها ما تبين الكلا م لسائلها القول إلا سرارا

يقول: ليست تبين الشيء فتطيبا إلا أن تفاوت بين الدلالة على المدلول، فكأنه مراد من القول بهذا قولك للمتكلم: قل ما شئت فإنك تبين دون أن أثر الصنعة فيه بالغ، بحسنه وتدبره. ومن هذا قول الله عز وجل - أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون - أي أنزلنا عليهم برهانا يستدلون به فهو يتكلم. وتقول أيضا: أنت أنطق المجانين تخرج منها المعاذير ولا تؤكد بالقول. وتقول: أراد الخياط أن يتخذ ثوبا فلم يقل أراد الخياط أن يتخذ إزارا فقالت الشجرة فالت، ولا تقول قالت الشجرة فالت قولا شديدا، والله سبحانه يقول - وكلم الله موسى تكليما - فوكد بالمصدر معنى التكليم ونفى عنه المجاز وقال - إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون - فوكد القول بالتكرار ووكد المعنى بأنما. وأما قول من قال منهم: إن قوله للملائكة - اسجدوا لآدم - إلهام - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب - أي إلهاما، فما ينكر أن القول قد يسمى وحيا، والإيماء وحيا، والرمز بالشفتين والحاجبين وحيا، والإلهام وحيا، وكل شيء دلت به فقد أوحيت به، غير أن إلهام الفعل تسخيرها لاتخاذ البيوت وسلوك السبل والأكل من كل الثمرات مثل العجاج وذكر الأرض -

• وحى لها القرار فاستقرت •

اى سخرها لأن تستقر فاستقرت وأما قوله جل ثناؤه - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحي

باذنه مايشاء ـ فالوحى الأول ما أراه الله الأنبياء فى منامهم ، والكلام من وراء حجاب تكليمه موسى عليه السلام ، والكلام بالرسالة إرساله الروح الامين بالروح من أمره إلى من يشاء من عباده ، ولا يقال لمن ألهمه الله كلمه الله لما أعلمتك به من الفرق بين الكلام والقول ، ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس وطول مراجعته إياه فى السجود والخروج من الجنة والنظرة إلى يوم البعث إلهاما ، هذا مالا يعقل ، وإن كان ذلك تسخيرا فكيف يسخر لشىء يمتنع منه ، وأما تأولهم فى قوله جل وعز للسماء والأرض ـ ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ إنه عبارة عن تكوينه لهما وقوله لجهنم ـ هل امتلأت وتقول هل من مزيد ـ إنه إخبار عن سعتها فما يحوج إلى التعسف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة ، وما ينفع من وجود ذلك فى الآية والآيتين والمعنى والمعنيين ، وسائر ماجاء فى كتاب الله العزيز من هذا الجنس وفى حديث رسول الله ﷺ ممتنع على مثل هذه التأويلات ، وما فى نطق جهنم وفى نطق السماء والأرض من العجب ، والله سبحانه ينطق الجلود والأيدى والأرجل ويسخر الجبال والطير بالتسبيح ، قال الله عز وجل ـ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ، والطير محشورة كل له أواب ـ وقال تعالى ـ ياجبال أوبى معه والطير ـ أى سبحى وقال ـ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ وقال فى جهنم ـ تكاد تميز من الغيظ ـ أى تتقطع غيظا عليهم كما تقول فلان يتقد غيظا عليك ، وقال ـ إذا رأتهم من مكان بعيد

سموا لها تغيظا وزفيرا - وروى فى الحديث أنها تقول « قطقط » أى حسبى حسبى . وهذا سليمان ﷺ يفهم منطق الطير وقول النمل والنمل من الحكل والحكل مالا يسمع له صوت قال رؤبة :

لو كنتُ أوتيت علم الحُكْلِ علم سليمان كلام النمل

وقال العمانى يمدح رجلا :

ويفهم قول الحكل لو أنّ ذرّةً تساود أخرى لم يفته سِوادُها

والسواد السرار، جعل قولها سراراً لأنها لا تصوت. وهذا رسول الله ﷺ تخبره الذراع المسمومة ، ويخبره البعير أن أهله يجيعونه ويذيبونه ، فى أشباه لهذا كثيرة ، وأنكروا مع هذا السحر إلا من جهة الحيلة ، وقالوا رقاة النميمة يفرق بها بين المرء وزوجه ، والكذب تصرف به القلوب عن المحبة إلى البغضة ، وعن البغضة إلى المحبة ، وقالوا : منه السموم يسحر بها فيقطع عن النساء وتحث الشعر ، وتغير الخلق ، والله سبحانه يقول - ومن شر النفاثات فى العقد - فأعلمنا أنهن ينفثن ، والنفث كالتفل كما ينفث الراقى فى عقد يعقد بها ، وقال الشاعر : —

ويعقد سحر البابليينّ طَرفُها مرارا ويَسْقينا سُلافا من الْخَمْرِ

فأراد أن طرفها يذهب بعقولنا كما يذهب السحر والراح بالعقل ، وقد سحر رسول الله ﷺ وجعل سحره فى بئر ذى أروان واستخرجه على رضى الله عنه منها ، وجعل يحله، فكلما حل عقدة وجد النبى ﷺ خِفًّا، فلما فرغ من حله قام النبى ﷺ كأنه نشط من عقال ، وقال الله عز وجل

ـ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ـ أفتراهما كانا يعلمان التمائم والكذب وسقى السموم ؟ وبمثل هذا النظم أنكروا عذاب القبر ومساءلة الملكين ، وحياة الشهداء عند ربهم يرزقون ، وأنكروا إصابة العين ونفع الرقى والعوذ وعزيف الجنان وتخبط الشيطان ، وتغول الغيلان ، فلما رأوا تواطؤ العرب على ذلك وإكثار الشعراء فيه كقول ذى الرمة : —

إذا حنّهنّ الركب فى مدلهمّة أحاديثها مثل اصطحاب الضرائر

وكقول زهير :

تسمع للجن عازفينَ بها تضبَحُ من رهبة ثعالبها

فى أشباه لهذا كثيرة طلبوا الحيلة فقالوا : علة ما يسمون من هذا ويرون انفراد القوم وتوحشهم فى الخلوات والقفار ، ومن انفرد فكر وتوهم واستوحش وتخيل فرأى مالا يرى وسمع مالا يسمع كقول حميد بن ثور :

مفزّعةٌ تستحيل الشخو ص من الخوف تسمع مالا تَرى

قالوا ومن أحناش الأرض وأجناس الطير فى الهامة والرمال مالا يظهر ولا يصوت إلا بالليل كالصدي والبوم والضُوَّع ، واليراع فاذا سمع أحدهم حسيس هامة ، أو زقاء بوم ، أو رأى لمع يراعة من بعد وجب قلبه ووقف شعره وذهبت به الظنون ، وقالوا فى النهار ساعة تتغير فيها مناظر الأشباح وتتضاعف أعدادها، فربما رؤى الصغير كبيراً والكبير صغيراً ، والواحد اثنين

وقد يسمع لأصوات الفلا والحرار مثل الدوى ولذلك قال ذو الرمة :

إذا قال سامينا لتدبيه نأوة صمم لم يكن إلا دوىّ المسامع

وبالدوى سميت الفلاة دوية كأن الدو حكاية مايسمعون ثم نسب المكان اليه قال الأعشى :

فوق ديمومة تخيل بالسف ر قفار إلا من الآجال

يريد بقوله تخيل بالسفر أنهم يرونها مرة على هيئة ومرة على هيئة .

وقال كعب بن زهير :

وصرماء مذكار كأن دويها بُعَيْدَ جنان الليل مما تُخَيَّلُ

حديث أناسى فلما سمعته إذا ليس فيه ما أبين فأعقل

وقال الأخطل يذكر فلاة رأى فيها الصغير كبيرا :

ترى الثعلب الحولى فيها كأنه إذا ماعلا نشزاً حصان مجلل

وقال النابغة

وحلت بيوتى فى يفاع ممنع تخال به راعى الحمولة طائراً

هذا رأى الكبير صغيراً لأنه فى شرف . وقال ابن أحمد فى تضاعف الاعداد

وازدادت الأشباح أخيلة وتقلل الحرباء بالنفر

﴿قال أبو محمد﴾ وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به يرقق عن صبوح ويسرحوا فى ارتقاء ، وما على من آمن بالبعث بعد الممات أن يؤمن بعذاب البرزخ وقد خبر به النبى ﷺ ، وقوله قائم على الكتاب ، وبمساءلة

الله يوم القيامة أن يؤمن بمعاملة ملائكته في القبر، ولم يصدق المنذر بما تدعيه في الفكر والرقا، وأنكر الجن والعوذ؟ أو ليس القبر بالفكر أشبه من الضرب بالعين، وما على من آمن بأنّ الشيطان أن يؤمن بتخبطه، ومن صدق بخلق النيلان أن يصدق بعزيفها وتغولها، وما أخرجه إلى تجهيل العرب قاطبة وتغليطها وتكذيبها شاهدها على صدق ما تقول كتاب الله ورسوله ﷺ، وكتب الله المتقدمة، وأنبياؤه عليهم السلام، وأمم العجم كلها، وقد جعل الله عز وجل الجن أحد الثقلين، وخاطبهم في الكتاب كما خاطبنا، سماهم رجالا فقال تبارك وتعالى - وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن - وقال في الحور العين - لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان - فدل على أن الجن تطمث كما تطمث الأنس، وأخبرنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين وقال - كالذي يتخبطه الشيطان من المس - والمس الجنون سمي مسًّا لأنه عن إلمام الشيطان بمسّه يكون. هذا على أخبار كثيرة صحاح تؤثر عن النبي ﷺ وعن السلف في الرئي[1] والتبعي من الجن، وما ينكر مع هذا أن الفلوات قد يعرض فيها ما يذكرون، ولكن ذلك لا يدفع حقائق ما يسمعون ويبصرون، ولم تكن العرب طرا مع أفهامها وألبابها لتتواطأ على تخيل وظنون، ولا كل ما أسمعه الخوف وأراه الجبن فهذا أبو البلاد الطهري، وتأبط شرا وهما من مردة العرب، وشياطين الأنس، يصفان الغول وبجيلتها، ويساورانها، وهذا أبو أيوب الانصاري

(١) الرئى بالكسر لغة تميم والرئى بالفتح أكثر

رضى الله عنه يأسرها ، وهذا عمر رضوان الله عليه يصارع الجنّ . وما جاء فى هذا أكثر من أن نحيط به ، فمن آمن بمحمد ﷺ وبأن ماجاء به هو الحق ، آمن بجميع هذا وشرح صدرا به ، ومن أنكره لأنه لا يؤمن إلا بما أوجبه النظر والقياس على ماشاهد ورأى فى الموات والحيوان ، فماذا أبقى للمسلمين؟ وأى شىء ترك للملحدين ؟ . تم القول فى المجاز إلا أقله وهو مذكور فى سورة الانعام .

رجع القول إلى ذكر الغريب قوله عز وجل (وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) أى جعل فى كل سماء ملائكة (الرِّيحَ الصَّرْصَرَ) الشديد (فى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال قتادة : نكدات مشؤومات . قال الشاعر :—

فسيروا لقلب العقرب اليوم إنه سواء عليكم بالنحوس وبالسعد

(عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان (فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أى دعوناهم ودللناهم (وَجُلُودُهُمْ) كناية عن الفروج (وَأَرْدَاكُمْ) أهلككم (وَالْغَوْا فِيهِ) الغطوا فيه (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) يقال إبليس وابن آدم الذى قتل أخاه فسن القتل (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أى آمنوا ثم استقاموا على طاعة الله عز وجل قال النبى ﷺ « واستقيموا ولن تحصوا » (نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أى رزقا (اهْتَزَّتْ) أى اهتزت بالنبات (وَرَبَتْ) علت وانتفخت (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) قالوا لا يستطيع الشيطان أن يبطل عنه حقا ولا يحق باطلا (مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) يعزيه ، أى قد قيل

للرسل قبلك ساحر وكذاب كما قيل لك (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أى هلا فصلت آياته أى نزلت عربية مفصلة بالآى كان التفصيل للسان العرب ثم ابتدأ ، فقال (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) حكاية عنهم وكانوا يعجبون : فيقولون أكتاب أعجمى ونبى عربى ؟ كيف يكون هذا ؟ فكان ذلك أشد لتكذيبهم (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) لقلة أفهامهم يقال للرجل الذى لا يفهم أنت تنادى من مكان بعيد (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) أى من المواضع التى كانت فيها مستترة وغلاف كل شىء كمه وإنما قيل كم القميص من هذا (وَقَالُوا آذَنَّاكَ) أى أعلمناك هذا من قول الآلهة التى كانوا يعبدون فى الدنيا (مَامِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) لهم بما قالوه وادعوه فينا (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) أى كثير إن وصفته بالطول أو بالعرض جاز فى الكلام (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ) قال مجاهد فتح القرى وقال فى أنفسهم فتح مكة (أَلَا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ) أى فى شك

غريب سورة حم عسق ومشكلها

قوله (يَتَفَطَّرْنَ) يتشققن من جلال الله تعالى وعظمته (لِتُنْذِرَ يَوْمَ الجمع) أى تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة كما قال — لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا — أى ببأس شديد (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يريد الاناث (وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) يريد جعل للانعام منهما أزواجا أى اناثا (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) أى يخلقكم فى الرحم أو فى الزوج (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

أى ليس كهو شىء والعرب تتم المثل مقام النفى فيقال مثلى لا يقال له هذا، لا يقال لى أى أنا (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيحها ومالك المفاتيح مالك الخزائن واحدها إقليد جمع على غير واحد كما قالوا مذاكير جمع ذكر وقالوا: محاسن جمع حسن (اللّٰهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) أى العدل (مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أى خائفون (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) أى عمل الآخرة يقال فلان يحرث للدنيا أى يعمل لها ويجمع المال ومنه قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» ومن هذا سمى الرجل حارثا وإنما أراد من كان يريد بحرثه الآخرة أى بعمله (نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) أى نضاعف له الحسنات (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) أى أراد بعمله الدنيا آتيناه منها (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) وهم الآلهة جعلها شركاءهم لأنهم جعلوها شركاء الله عز وجل فأضافها اليهم لادعائهم فيها ما ادعوا وكذلك قوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَىْءٍ) أى من الشركاء الذين ادعيتموهم لى (شَرَعُوا لَهُمْ) أى ابتدعوا لهم (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق الفصل بأن الجزاء يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبٰى) قال قتادة لا أسألكم أجرا على هذا الذى جئتكم به إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وكل قريش بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة قال مجاهد رحمه الله لم يكن من قريش إلا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الحسن رحمه الله إلا أن تتوددوا إلى الله عز وجل بما يقربكم منه (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) أى يكتسب (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى يجيبهم كما قال * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ) أى نشر (وَمِنْ آيَاتِهِ الجوارى) يعنى السفن (كَالأَعْلاَمِ) واحدها علم (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) أى سواكن على ظهر البحر (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) يقال فلان أوبقته ذنوبه وأراد أهل السفن (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) أى يتشاورون فيه (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) أى قد غضوا أبصارهم من الذل (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً) أى يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات تقول العرب زوجت إبلى أى قرنت بعضهما ببعض وزوجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيراً بصغير (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً) فى المنام (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) كما كلم موسى ﷺ (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) أى ملكا فيكلمه عنه بما يشاء

غريب سورة الزخرف ومشكلها

قوله عز وجل (فَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ) أى فى أصل الكتاب عند الله تعالى (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً) أى نمسك عنكم فلا نذكركم (صَفْحاً) أى إعراضا يقال صفحت عن فلان أى أعرضت عنه والأصل فى ذلك أنك توليه صفحة عنقك قال كثير يذكر امرأة

صفوحا فما تلقاك إلا بجيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أى معرضة بوجهها يقال ضربت عن فلان كذا إذا أمسكت وأضربت عنه (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) أى لأن كنتم قوما مسرفين (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) أى مطيقين ويقال أنا مقرن لك اى مطيق لك ويقال هو من قولهم أنا قرن لفلان إذا كنت مثله فى الشدة وإن فتحته فقلت أنا قرن لفلان إذا أردت أنا مثله فى السن (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) أى نصيبا ويقال شبها ومثلا إذ عبدوا الملائكة والجن وقال أبو إسحاق: إن معنى جزءا ههنا بنات يقال له جزء من عيال أى بنات قال وأنشدنى بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى جزء معنى إناث قال ولا أدرى البيت قديم أم مصنوع :

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزىء الحرة المذكار أحيانا

بمعنى إن أجزأت أى أنثت أى أتت بأنثى وقال المفضل بن سلمة : حكى لى بعض أهل اللغة أجزأ الرجل إذا كان يولد له بنات، وأجزأت المرأة إذا ولدت البنات وأنشد المفضل :

زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن فى أبيائها زجل

يريد بالعوسج المغازل (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ) أى ربّى فى الحلى يعنى البنات يريد جعلتم البنات لله وأنتم إذا ولد لأحدكم بنت (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) أى حزين (وَالْخِصَامُ) جمع خصم ويكون مصدر خاصمت (غَيْرُ مُبِينٍ) للحجة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) أى عبيده عبد وعباد (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) يعنى لا إله

إلا الله (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) أى على دين واحد (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى كفاراً كلهم (وَالْمَعَارِجُ) الدرج يقال عرج أى صعد ومنه المعراج كأنه سبب إلى السماء أو طريق (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) أى يعلون يقال ظهرت على البيت إذا علوت سطحه (وَالزُّخْرُفُ) الذهب (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ) أى يُظلم بصره عنه هذا قول أبي عبيدة قال الفراء :(ومن يعش عن ذكر الرحمن)أى يعرض عنه ومن قرأ (وَمَنْ يَعْشَ) بنصب الشين أراد يعمى عنه . وقال فى موضع آخر ـ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ـ ﴿قال أبو محمد﴾ ولا أرى القول إلا قول أبى عبيدة ولا أرى أحداً يجيز عشوت عن الشيء أعرضت عنه ، وإنما يقال تعاشوت عن كذا أى تغافلت عنه كأنى لم أره،ومثله تعاميت والعرب تقول عشوت إلى النار إذا استدللت اليها ببصر ضعيف قال الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقدِ

ومنه حديث ابن المسيب رضى الله عنه إن إحدى عينيه ذهبت وهو يعشو بالأخرى،أى يبصر بها بصرا ضعيفا (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) أى شرف لكم يعنى القرآن (وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ) عن الشكر عليه (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) أى سل من أرسلنا اليه رسولا من رسلنا قبلك يعنى أهل الكتاب والكلام تعريض قد كتبناه فى باب التعريض عند قوله ـ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك ـ وعند قوله ـ ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ـ فأغنى عن إعادته هنا

(أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال أبو عبيدة أراد بل أنا خير وقال الفراء : أخبرنى بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القراء قرأ ـ أما أنا خير ـ وقال لى هذا الشيخ لو حفظت الأثر لقرأت به وهو جيد فى المعنى (فَلَمَّا آسَفُونَا) أى أغضبونا والأسف الغضب يقال أسفت آسف أسفا أى غضبت (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) أى قوما تقدموا (وَمَثَلًا) عبرة وقرأها الأعرج سُلُفا كما قيل اللام واحدته سلفة من الناس مثل القطعة تقول تقدمت سلفة من الناس وقرئت سُلُفًا كما قيل خشب وخُشُب وثَمَر وثُمُر ويقال هو جمع سليف وكله من التقدم (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أى يضجون يقال صددت أصد إذا ضججت والتصدية منه وهو التصفيق والتاء فيه مبدلة من دال كأن الأصل فيه صددت بثلاث دالات فقلبت الأخرى ياء فقالوا صديت كما قالوا قصيت أظفارى والأصل قصصت ومن قرأ ـ يصُدون ـ أراد يعدلون ويعرضون (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) أى نزول المسيح عليه السلام يعلم به قرب الساعة ومن قرأ علم للساعة فانه بمعنى العلامة والدليل (يُحْبَرُونَ) أى يسرون والحبرة السرور (وَالْأَكْوَابُ) الأباريق لاعرى لها ولا خراطيم واحدها كوب (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) أى يائسون من رحمة الله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا) أى أحكموه ﴿ومن المشكل﴾ قوله عز وجل (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أى الموحدين ومن وحد الله سبحانه فقد عبده ومن جعل له ولدا وندا فليس من العابدين وإن اجتهد. ومنه قوله ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ أى ليوحدون